

## التبيان في تفسير القرآن

(359) لهم، ولم يكن ذلك استخفافاً بهم بالأعمال. وقد قال الجبائي: إن الطين خير من النار، لأنها أكثر منفعة للخلق من حيث أن الأرض مستقر الخلق وفيها معاشهم، ومنها تخرج أنواع أرزاقهم لأن الخيرية في الأرض أو النار، إنما يراد بهما كثرة المنافع، دون كثرة الثواب، لأن الثواب لا يكون إلا للمكلف المأمور، وهذان جمادان. وعلى ما يذهب إليه أصحابنا أن ذلك يدل على تفضيل آدم على الملائكة وكان ذلك مستحقاً، فلذلك أسجدوا الملائكة له. فإن قيل: لم اعترض إبليس على الله مع علمه أنه لا يفعل إلا الحكمة؟ قلنا عنه جوابان: أحدهما - أنه اعترض كما يعترض السفیه على الحكيم الحليم في تدبيره من غير فكر في العاقبة. والثاني - أن يكون جهل هذا بشبهة دخلت عليه. وعلى ما نذهب إليه من أنه لم يكن عرف الله قط سقطت الشبهة. واستدل أيضاً بهذه الآية على أن الجواهر متماثلة بأن قيل: لاشئ أبعد إلى الحيوان من الجماد، فإذا جاز أن ينقلب الطين حيواناً وإنساناً جاز أن ينقلب إلى كل حال من أحوال الجواهر، لأنه لا فرق بينهما في العقل. واستدل أيضاً بهذه الآية على أن الأمر من الله يقتضي الإيجاب بأن الله تعالى ذم إبليس على امتناعه من السجود حين أمره، فلو كان الأمر يقتضي النذب لما استحق العيب بالمخالفة وترك الامتثال، والأمر بخلاف ذلك في الآية. قوله تعالى: قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين (12) آية قوله " قال فاهبط منها " حكاية لقول الله تعالى لابليس وأمره إياه أن